[الأعراف: ١٧٦] قال مجاهد: منقطع الفؤاد لا يزال يلهث حملت عليه أم لا. وقيل: إنْ وعظته أو لم تعظه سواء عليه. وقال ابن عباس: معناه: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد إلى الخير. وقال ابن قتيبة: كل شيء من الحيوانات إنما يلهث من عطش أو إعياء إلا الكلب فإنه يلهث على كلِّ حال، فضربه الله مثلاً لمن كذَّب بآياته وهو من لم ينتفع بعلمه. فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال[١]. وقال مقاتل: زجر في منامه فلم ينزجر، وخاطبته الأتان فلم ينتبه، وهذا رجل لم ينفعه علمه بل ضرَّه وكان وبالاً عليه.

وقال منصور بن زاذان: نبئتُ أن بعض من يُلقى في النار يتأذَّى أهلُ النار بنتن رائحته، فيقولون له: ويلك ما كفانا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بنتن ريحك، ما كنت تعمل في الدنيا؟ فيقول: كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي.

وقال السُّدي: ثم إن موسى صعد إلى البلقاء وحارب قوم بلعام، وقتل ملكهم بالق وأسر بلعام فقتله شرَّ قتلة، وهذا ما انتهى إلينا، والله أعلم.

فَصلٌ في ذِكْر قارُون وَسَلْبِه كُلّ مَكنُون وَمَخزُون[٢]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[القصص: ٧٦] الآية. واختلفوا في نسبه إلى موسى على أقوال:

أحدها: أنه كان ابن عمه لأن موسى: ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وقارون هو ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال ابن جريج والنخعي.

والثاني: ابن خالته رواه عطاء عن ابن عباس.

والثالث: كان عمَّ موسى عليه السلام، قاله محمد بن إسحاق[٣].

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٩٧ ـ ٩٨، وانظر «تأويل مشكل القرآن» ص ٢٨٦.

(٢) جاء في (ب): الباب الثامن عشر في ذكر قارون، وانظر في قصته: «تاريخ الطبري» ١/ ٤٤٣، «تفسير الطبري» ٢٠/ ١٠٥، «عرائس المجالس» ص ٢١٥، «التبصرة» ١/ ٢٥١، «المنتظم» ١/ ٣٦٥، «زاد المسير» ٦/ ٢٣٩، «البداية والنهاية» ١/ ٣٠٩، «الكامل» ١/ ٢٠٤.

(٣) انظر «التبصرة» ١/ ٢٥١.

وقال قتادة: كان قارون يسمَّى المنوَّر لحسنه، وإنما نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي[١].

قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ واختلفوا في معنى هذا البغي على أقوال:

أحدها: أنه بغى عليهم بالكبر، قاله قتادة.

والثاني: أنه زاد في ثيابه شبراً، قاله عطاء الخراساني.

والثالث: أنه بغى بالنفاق والكفر، قاله الضحاك.

والرابع: أنه كان يخدم فرعون ويتعدى على بني إسرائيل ويظلمهم، حكاه الماوردي[٢].

والخامس: أنه جعل لبغيٍّ جعلاً لتقذفَ موسى عليه السلام ويتعدى على بني إسرائيل، قاله ابن عباس[٣]. وسنذكره.

وفي مفاتيحه قولان:

أحدهما: أنها مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب، وكانت مفاتيحه وِقْرَ ستِّين بغلاً، وكانت من جلود، كلُّ مفتاح مثل الإصبع، قاله مقاتل.

وقيل: كل مفتاح تفتح به عدة خزائن، ووزن كل مفتاح درهمان، قاله مجاهد وقتادة ومقاتل.

والثاني: أن المراد بالمفاتيح الخزائن نفسها، وحكاه جدي في «التبصرة» عن السُّدي وأبي صالح والضحاك، قال: وقال الزجاج: وهذا أشبه، وإليه ذهب ابن قتيبة[٤]. وكانت مفاتيح خزائنه تحمل على أربعين جملاً[٥].

قلت: والأول أشبه، لأن أموال قارون كانت عظيمة تزيد على ما ذكره، فإن أربعين

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٤٤٤، وانظر «المنتظم» ١/ ٣٦٦.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٦٥.

(٣) انظر «التبصرة» ١/ ٢٥١ـ٢٥٢.

(٤) انظر «تفسير غريب القرآن» ص ٣٣٥.

(٥) «التبصرة» ١/ ٢٥٢.

بغلاً بالنسبة إلى أمواله يسيرة.

﴿لَتَنُوأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أي: بنقلهم، وهذا دليل على ما ذكرنا لأنه صريح فيه، وإذا كانت المفاتيح تنوء بنقل العصبة ـ وهم أربعون رجلاً في قول ابن عباس، وقد ذكرناهم في قصة يوسف ـ فما ظنك بالخزائن.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾[القصص: ٧٦] يعني المؤمنين من آمن بموسى، ومعنى لا تفرح: لا تبطر ولا تمرح ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ وهي الجنة، بالإنفاق في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو أن تعملَ فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِن﴾ بإعطاء فضل مالك ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بأن زادك على قدر حاجتك ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[القصص: ٧٧] بأن تعمل بالمعاصي.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ يعني المال، وفيه أقوال:

أحدها: أن قومه لما وعظوه قال: إنما أوتيته على خير وصلاح عَلِمَهُ الله مني، ولولا ذلك لما أعطاني إيَّاه، قاله مجاهد.

والثاني: بفضل علمي، قاله الفراء.

والثالث: بالمكاسب والتجارات، حكاه الماوردي[1].

والرابع: برضا الله عني، قاله ابن زيد.

والخامس: بصنعة الكيمياء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وحكى جدي في «التبصرة» عن الزجاج أنه قال: وهذا لا أصل له لأن الكيمياء باطلٌ لا حقيقة له[2].

فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال. ومعناه: لو كان الله إنما يعطي الأموال لمن يرضى عنه لم يهلك أرباب الأموال الكثيرة ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[القصص: ٧٨] بل يدخلون النار بلا حساب، قاله قتادة. فما زاده ذلك الوعظ إلا عتوًّا.

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾[القصص: ٧٩] اختلفوا في الذي خرج فيه على

(١) النكت والعيون ٤/ ٢٦٨.

(٢) «التبصرة» ١/ ٢٥٣.

أقوال:

أحدها: في ثيابٍ حمر وصفر، قاله الحسن.

والثاني: في ثياب معصفرة، قاله عكرمة.

والثالث: على بغلةٍ شهباء عليها سرج أحمر من أرجوان، ومعه أربعة آلاف مقاتل وثلاث مئة وصيفة عليهنَّ الحليُّ والحلل والزينة، على بغال شهب، قاله وهب. والأرجوان: صبغ أحمر. وقال مقاتل: كان معه سبع مئة جارية عليهن الحلي والحلل المصبَّغة بالأرجوان.

والرابع: أنه خرج في تسعة آلاف مقاتل، ومعه أمواله وذخائره وجواهره، فكاد أن يفتن بني إسرائيل.

ذكر سبب هلاكه

قوله: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ يعني: الكلمة التي قالها المؤمنون، وهي: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٨٠]، فأما الذي بطر وبغى فهلك.

وقال ابن عباس: لما أنزلت آية الزكاة في التوراة جاء قارون إلى موسى فصالحه على كل ألف دينار دينار، وعلى كل ألف درهم درهم، وعلى كل ألف شاة شاة، وعلى هذا الأسلوب، فحسب ذلك فوجده مالاً عظيماً، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى يأمركم بكل شيء فتطيعونه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تعطوا فلانةَ ـ لبغيٍّ كانت في بني إسرائيل ـ مئةَ دينار لتقذفه ففعلوا؛ وجاء قارون إلى موسى فقال: إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم، فخرج فقام فيهم خطيباً وقال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة، فإن كانت له امرأة رجمناه حتى يموت، فصاح به قارون وقال: وإن كنت أنت؟ قال: نعم، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرتَ بفلانة، فقال: عليَّ بها، فجاءت، فقال لها موسى: أنا من فعلت هذا الذي يقول هؤلاء؟ فقالت: لا والله يا نبيَّ الله، كذبوا، وإنما جعلوا لي جُعلاً حتى أقذفَكَ بنفسي، فسجد موسى عليه السلام يبكي ويتضرع، فأوحى الله إليه مُرِ الأرض

بما شئت، فقال: يا أرضُ خذيه، وكان قارون على سريره فأخذته حتى غيَّبَتْ سريره، فقال: يا أرض خذيه، فلم يزل يقولُ كذلك حتى غاب معظمه وبقي منه اليسير، قيل: قدماه، فجعل يناشد موسى بالرحم فما رُحِمَ، وجعل يقول: يا أرض خذيه، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى، ما أَفَظَّكَ!! فوعزَّتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته.

قال سمرة بن جندب، وقد رفعه إلى النبي ﷺ: «فهو يخسف به كلَّ يوم قدر قامة فما يبلغ الأرض السفلى إلى يوم القيامة»[١]، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ الآية. وقال ابن عباس: ثم قال موسى: يا أرض خذيهم وأشار إلى الذين قذفوه فأخذتهم[٢].

ولما خسف به قال بعض الجهال: إنما قصد موسى أخذ داره، وكانت داره عظيمة، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، فسأل الله فخسف بداره بعد ثلاثة أيام.

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[القصص: ٨١] وقيل: أراد بداره منزله ومقامه، وإلا فمن أين كان لهم في التيه دور؟ والعرب تسمي المنزل داراً.

قلت: ويحتمل[٣] أن الواقعة كانت بمصر.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ قد ندِموا على تمنيهم ويقولون: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[القصص: ٨٢]. قال الجوهري: وذلك لأن القوم ندموا فقالوا «وي» متندمين على ما سلف منهم[٤] ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ﴾ وذلك بالبغي والبطر والأشر والفساد والعمل بالمعاصي ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٩/ ٣٠٢٠.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٤٤٧. وانظر «التبصرة» ١/ ٢٥٣.

(٣) في (ب): قال المصنف رحمه الله: ويحتمل.

(٤) لم نجده في «الصحاح» وقد أورده البغوي في «تفسيره» ص ٩٩٣. وابن الجوزي في «زاد المسير» ٦/ ٢٤٧ ونسباه إلى الخليل دون الجوهري.